

## محاضرة 16

### نظرية الاختيار العقلاني

تمهيد

نظرية الاختيار العقلاني هي طريقة لتحليل السلوكيات، ترى في الفرد فاعلا عقلانيا، يسعى فقط لزيادة مكاسبه الى الحدة الأعلى .

#### تعريف نظرية الاختيار العقلاني :

هو منهج يعتمد على أنماط من الاقتصاد لفهم كل أشكال العمل الاجتماعي الأخرى التي تعتبر أمرا عقلانيا .ويمكن ان توجد في أعمال غاري بيكر و جيمس كولمان و في نظرية "التبادل" لجورج هومانز

#### الخلفية النظرية لنظرية الاختيار العقلاني

تعود الخلفية النظرية لنظرية الاختيار العقلاني لأعمال ماكس فيبر حول الفعل الاجتماعي الذي قسمه الى أربعة أنماط

-الفعل الأول: الفعل العقلي الأداة الذي يتحقق حينما يستعمل الفرد الوسيلة الأكفأ لتحقيق هدفه .

يمكن فهم هذا النوع من الأفعال عن طريق تفسير الغاية و الوسائل و النتائج النهائية ،التي يسعى الى تحقيقها أصحاب هذه الأفعال.

-الفعل العقلي ذو القيمة الذي يتحقق حينما يلتزم الفرد بقيمة أو مجموعة قيم التي توجه أفعاله

-الفعل التقليدي الذي يقوم به النزء بطريقة بديهية .وهو يشمل القليل من التفكير الواعي في الغايات و الوسائل

-الفعل الوجداني الناتج عن الوجدانيات

اعتقد فيبر أن العقلانية -باعتبارها وسيلة تفكير-بدأت تسود خلال العصر الحديث. وقد أسماها الحركة العقلية حيث ذكر ان مجتمعات العصور الوسطى كانت أسيرة الفعل العقلي المبني على القيمة أو الفعل التقليدي ...بينما يرى أن العصر الحديث يشهد الفعل العقلي الذاتي القائم على حسابات الوسائل و الغايات.

-لاقت آراء فيبر تاييدا من بقية علماء الاجتماع الألمان بمن فيهم جورج شيمل (George Simmel) ...و كان لهذا المنطلق أثره في مدرسة علم الاجتماع الامريكية .-ومنها مدرسة شيكاغو-كما أثرت في ما بعد في الحركة التفاعلية الرمزية...وهو تراث له أهميته بالنسبة الى النظرية الوظيفية البنوية عند تالكوت بارسونز.

قام أحد نقاد بارسونز - وهو جورج هومانز (Goerge Homans) بوضع نظرية الخيار العقلي، مستخلصا أياها من دراساته في الأقتصاد و علم النفس

-كانت لنظرية الخيار العقلي...شعبيتها بين علماء الاجتماع الامريكين، بمن فيهم الماركسيون من قبيل إلستر (John Elester). و غير الماركسيين من قبيل جيمس كولمان (James Coleman)

-أما في علم الاجتماع البريطاني، فتبنى تطوير جون غولدثورب لنظرية الفعل العقلي تركيز فيبر على الفعل العقلي .

### أطروحات نظرية الاختيار العقلاني

ترتبط الجذور العميقة لنظرية الاختيار العقلاني (RCT) بالإقتصاد النفعي حيث يتم تداول قضية العقلانية باعتبارها تحقيق الحد الأقصى من المنفعة المتوقعة Maximizing Expected Utility. ولذلك فقد بدت النظرية ذات طابع اقتصادي حتى بعد دخولها علم الاجتماع.

-يميل الكثير من علماء الاجتماع إلى إعتبار نظرية جورج هومانز "الأشكال الأولية للسلوك الاجتماعي" Social Behavior It's elementary Forms 1961، النموذج الطبيعي لتأسيس نظرية الاختيار العقلاني في علم الاجتماع.

-فقد تضمنت نظريته المبادئ الأولية للنظرية التبادلية، عن طريق إرساء جملة من الإقتراضات المشتقة من الأقتصاد النفعي، و علم النفس السلوكي، و الانثروبولوجيا الاجتماعية و في الستينيات و السبعينيات من القرن الماضي عمل عدد من العلماء مثل بلاو Blau و كومان Coleman، وكوك Cock و على تطوير نظرية هومانز، وساعدوا في تطوير نماذج للفعل العقلاني أكثر رسمية و رياضية.

-مراجعة نظرية الاختيار العقلاني تكشف عن مرتكزات ابيستيمولوجية متنوعة، كالنفعية و الماركسية و طروحات باريتو Pareto حول التبادل مع الذات Inter-actor Exchange، كما تجسد أحد مسارات التحليل الفيبري للفعل (الفعل العقلاني) وتتجلى فيها طروحات نظرية التبادل الاجتماعي...، لكن الأمر الأكثر وضوحا هو تضخم النزعة النفعية في طروحات النظرية (RCT).

من هنا جاء مصطلح "اختيار عقلاي" Rational choise فالأفراد يؤسسون أفعالهم على ما يعتقدون أنه الوسيلة العظمى المؤثرة من أجل تحقيق أهدافهم. وفي عالم النذرة فإن هذا يعني استمرار موازنة الوسائل البديلة مقابل الغايات البديلة و الاختيار بينها لتحقيق الحد الأقصى للفائدة

-وهكذا يتعين على المرء -حتى يكون المرء عقلاي- أن يجمع أقصى كمية ممكنة من المعلومات قبل أن يتخذ القرار. وأن يتبنى تصورات تامة حول موضوع الاختيار، ومن ثم

يجب أن يختار أفضل الوسائل لتحقيق الأهداف مع الأخذ بعين الاعتبار تكاليف الفرص و المسارات المنفعية البديلة.

-يوضح فريدمان و هشتير Friedman and Hechter: أن نماذج الاختيار العقلاني تركز على مفاهيم للفاعلين باعتبارهم غرضيين و قصديين .و أنهم مدركون لأمتلاكهم تفضيلات معطاة ،ويتصرفون بهدف معلن لتحقيق الغايات المدرجة في هرم تفضيلاتهم

-الجانب النفعي في نظرية الاختيار العقلاني

-ماركسية الاختيار العقلاني

**نموذج بيتر آبل للنتبؤ بالفعل الاختيار العقلاني :**

-افتراض ان الأفراد قد حددوا المصادر الموضوعية التي يحوزونها ،ووضعوا سلم أولوياتهم و أفضليتهم ،و العوائد المتوقعة

-تحديد شبكة الاعتمادية المتداخلة بين الفاعلين

-تحديد مسارات الفعل العقلاني ،أي كيف يمكن أن يتصرف الفاعل في ضوء تحقيق أكبر منفعة ضمن سلم أولوياته

-قياس الفرق بين النتائج الفعلية والنتائج المتوقعة

-إذا إخفق هذا النموذج ،يمكن إدخال عناصر و تقديرات ذاتية و يعاد الحساب مرة أخرى  
مزايا نظرية الاختيار العقلاني :

-يؤكد آبل مدافعا عن أداتية الاختيار العقلاني ،أن عدد كبير من الناس يتصرفون بعقلانية مما يدعو الى قبول النظرية ،ويتعين علينا حينما نفهم الفعل الإنساني أن نعطي الأولوية للتفسيرات و النماذج العقلانية.

**نظم البديهيات التي تحكم نظرية الاختيار العقلاني :**

-يعرض ريموند بودون Boundon نظام البديهيات التي تحكم نظرية الاختيار العقلاني ،موضحا أنه يتضمن مايلي:

-فردية Individualism تؤكد على قرارات و أفعال الأفراد ،وفهم Understanding ،ويؤكد بأن الفعل يمكن أن يفهم ،وعقلانية Rationality ويؤكد أن الفعل ناتج عن أسباب في عقل الفرد ،وأداتية Instrumentalism تبرر اهتمام الفاعل بنتائج فعله ،وأنائية Egoisme تؤكد أن الفاعل يهتم بالنتائج التي تعنيه فقط ،وبلوغ أقصى حد من الاشباع في عملية الاختيار Maximization.

-يعرض جوثان تيرنر Turner في كتابه الموسوم "بناء النظرية السوسولوجية" اندماج نظرية الاختيار العقلاني في النظرية السوسولوجية، بعد احتوائها لجملة من الافتراضات المعدلة سوسولوجيا على النحو التالي:

1- الناس منفعيون و موجهون بأهداف Goal Oriented

2- الناس يمتلكون منظومات من التفضيلات أو المنافع المرتبة هرميا.

3- عند إختيارهم لمسارات التصرف، فإنهم يجرون حسابات عقلانية مع الأخذ بعين الاعتبار

أ- المنفعة المترتبة على المسارات البديلة للتصرف بالاستناد الى التفضيلات المرتبة هرميا

ب- تكلفة كل بديل في ضوء الفوائد السابقة

ج- الطريقة الأفضل للحصول على أقصى منفعة

1- الظواهر الاجتماعية المنبثقة، والبناءات الاجتماعية، و القرارات الجمعية، هي نتيجة اختيارات عقلانية صدرت عن افراد يسعون الى تعظيم المنفعة الى حده الأقصى.

2- إن الظواهر الاجتماعية المنبثقة، تشكل منظومة مقاييس للاختيارات العقلانية للاحقة للأفراد، الى الدرجة التي يحددون فيها مايلي:

أ- توزيع المصادر بين الأفراد

ب- توزيع الفرص لمسارات مختلفة من السلوك

ج- طبيعة المعايير و الواجبات في الموقف

**النقد الموجه لنظرية الاختيار العقلاني:**

-لاقت نظرية الاختيار العقلي انتقادات كثيرة لإهمالها الأعراف و التقاليد في الفعل

-تتجاهل الوسائل التي تشكل بها الآراء المشتركة حول مدى ملائمة السلوك المتبع أفعال الأفراد

-من وجهة نظر كارلينج أن نظرية الاختيار العقلاني لا تفسر و لا يمكن أن تفسر أي شئ، ولكن هذا لا يعد فشلا لها، فنظرية الاختيار العقلاني خاصة و ليست عامة

- يذهب انتوني جينز الى مدى أبعد من كارلينج في قوله: "و الواقع أنه في ظروف نادرة جدا يكون لدى الشخص غاية محددة تحديدا واضحا في ذهنه تعمل على تنظيم طاقاته في اتجاه واحد لا لبس فيه"

المراجع

أيان كريب. (1999). النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس. (محمد حسين غلوم، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.

جون سكوت. (2009). علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية (الإصدار 1). (محمد عثمان، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث و النشر.

ريمون بودون. (2010). أبحاث في النظرية العامة في العقلانية العمل الجماعي و الحس المشترك (الإصدار 1). (جورج سليمان، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

عبد الكريم الحوراني. (2011). التفاعل الرمزي و نظرية الاختيار العقلاني المنطلقات المعرفية لنموذج رمزي في الاختيار العقلاني . ابحاث اليرموك سلسلة العلوم الانسانية و الاجتماعية، 2214-2197.

عبد الله محمد عبد الرحمان. (2006). النظرية في علم الاجتماع. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

فيليب كابان، و جان فرانسوا دورتيه. (2010). علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية أعلام و تواريخ و تيارات (الإصدار 1). (إياس حسن، المترجمون) دمشق: دار الفرقد.